http://www.almadapaper.com - E-mail: almada@almadapaper.com ◆ العدد (1845) السنة السابعة - الاثنين (12) تموز 2010

عمارة

قليلة هي المدن التى يقترن "اميجها" المتصور بشارع ما محدد فيها. فينوب، عندذاك، شارع مميز في مخطط المدينة عن تمثيل كيانها الحضري في الخطاب. وتعد بغداد ضمن تلك المدن النادرة في هذا المجال. اذ يستحضر شارعها الجليل: شارع الرشيد، صورة تلك المدينة التاريخية الى الذاكرة. ثمة خصائص عديدة ومتنوعة، اشتركت فيما بينها لتجعل من الشارع اياه ان يكون "ايقونة" المدينة ورمزها الحضري.

ساحة الرصافي: الواقع ومقترح التصميم المستقبلي

جبهة النهر: مقترح التصميم المستقبلي.

أمل لقيام "الرشيد"

د. خالد السلطاني
معمار واكاديمي

وهذه الخصائص نابعة من طبيعة الشارع ذاته، وكذلك من خصوصية المدينة الواقع فيها. فالشارع كان الاطول في المدينة؛ و"نهره" المنساب من اول شمال بغداد، التى كانت، وقتذاك، مسورة؛ الى آخر جنوبها، يحاذي انسياب نهر دجلة الموازي له والقريب منه، ذلك النهر الذي اعتبر دوما "جادة" المدينة الرئيسية، وطريقها الرئيس منذ ان اختطت في منتصف القرن الثامن الميلادي، كحاضرة للخلافة الاسلامية ولتكون عاصمتها الشهيرة.

لقد اكتسب شارع الرشيد اسمه عام ١٩٣٢، واشتهر به لاحقا. لكن الشارع لم يكن معروفا من قبل بل لم يكن موجودا اصلا، قبل ان يهتدي الى فكرته احد القادة العسكريين الاتراك اثناء الحرب العالمية الاولى. وسرعان ما تم شقه ضمن النسيج المديني المتضام والمكتظ، وافتتح سنة ١٩١٦، وسُمي على عجل بـ "خليل باشا جادة سي"، تيمناً باسم القائد العثماني صاحب الفكرة الجريئة. بيد ان شقه لم يكتمل في حينه، واكمله الانكليز لاحقا، مطلقين عليه اسم "هند نبرغ" وشارع "شارع النصر" ومن ثم "الجادة الجديدة". وما لبث هذا الاسم ان تبدل هو الآخر الى "شارع الرشيد"، عندما اتخذت امانة العاصمة في حينها قرارا في اطلاق تسميات جديدة على شوارعها الرئيسية. على ان اهمية الشارع لا تنبع، كما انها لا تقتصر فقط على طوله المديد، ولا على تماثل "نهره" مع مجرى النهر المحاذي له. ان اهميته بالتأكيد تعود ايضا بكون الشارع (وتخومه.. معاً) كانتا تمثلان مركزاً اداريا واقتصاديا وثقافيا واجتماعيا وترفيهيا مهما ولفترات زمنية طويلة. فمنطقة الرشيد هي مركز الحكومة ومكان لمقر معظم وزاراتها، بدءاً من الخارجية مرورا الى الدفاع والصحة والاشغال والشؤون الاجتماعية، فضلا على ان القشلة المجاورة للرشيد كانت مكانا لمقر رئاسة الوزارة ومقرا لوزارات عديدة منها المالية والداخلية والمعارف والعدلية وغيرها. وتتجمع في منتصف الشارع العتيد اهم البيوتات المالية والمصارف الاهلية والحكومية، بضمنها البنك المركزي العراقي. وعلى امتداده، وخصوصا في منطقة الشورجة، كان الشارع يستحوذ على المقدرات الاقتصادية باسواقه المختلفة والمتعددة الحافلة بالبضائع المتنوعة، ولهذا عُدَ الشارع بحق عصب الحياة الاقتصادية، ليس للمدينة فقط وانما لعموم البلد. هذا فضلا على ما كان يتمتع به الرشيد بكونه مجالاً لنشاط ترفيهي مكثف لما يحتوية من دور للسينما هي الأشهر في العراق ولفترات طويلة، كما انه المكان الاثير للنخبة المثقفة في عدد مكتباته الغنية بمطبوعاتها ومقاهيه المتنوعة بالإضافة الى وجود مقار لمختلف الصحف وامكنة طباعتها. والرشيد هو الحلقة الاهم في اتصالات ومواصلات شمال المدينة بجنوبها، وهو الممر الرئيس الذي يصل الكرخ بالرصافة؛ وبه تصب معظم جسور المدينة الأساسية سواء القديمة منها ام الجديدة.

تخطيطيا، عُد شارع الرشيد بمثابة المفردة الحضرية الرئيسية، واهم حدث تخطيطي طال نسيج البيئة المبنية، وعلى غراره تم انشاء شوارع عديدة، سواء في الرصافة ام في الكرخ، مثل شارع الكفاح والشيخ عمر والجمهورية بالإضافة إلى شارع ١٤ تموز. وفيما يخص القيمة المعمارية، فالرشيد ليس له مماثل في عموم مفردات التخطيط الحضري لمدينة بغداد. وظل المكان الاثير لتجارب معمارية طليعية، اسست لظاهرة الحداثة المعمارية بالعراق. وعمارته المتنوعة ذات الاساليب الفنية المتعددة، كانت دوما تقرأ بكونها "البوم" العمارة العراقية الحديثة. ان معظم معماري العراق الرواد ان لم يكن جميعهم عملوا في الرشيد، بدءاً من نعمان منيب المتولي و احمد مختار ابراهيم، وحازم نامق ومحمد مكية وجعفر علاوي، وعبد الله احسان كامل ومدحت علي مظلوم ورفعة الجادرجي وقحطان عوني وقحطان المدفعي وهشام منير وناصر الاسدي وغيرهم، ما يجعل من المنتج المعماري "الرشيدي" ليكون افضل "مجموعة" معمارية حداثية في عموم العراق، وهي التى اعطت الشارع اهميته المعمارية والثقافية، بحيث بات الشارع بمنزلة ذاكرة العراق وخزين ذكرياته. هذا بالاضافة الى ما تتمتع به منطقة الرشيد من شواهد معمارية عديدة تعود الى ازمنة مختلفة كالمدرسة المستنصرية وجامع الخفافين ومبنى القشلة، فضلا على وجود امثلة مميزة لبيوت بغدادية بعمارة تقليدية، ما يضفي بعدا آخرا على قيمة هذا الشارع وتخومه.

تعرض الشارع في الفترات الزمنية الاخيرة لكثير من الاهمال واللامبالاة والتخريب المتعمد، نتيجة عوامل عديدة، أهمها العمليات الارهابية الساعية وراء ايقاف الحياة في العاصمة (كجزء من اهدافها لافشال اية مبادرة تتطلع نحو التغيير والتقدم)؛ وما نجم عن ذلك من سلبيات التبديل السريع الذي طرأ على وظائف الشارع، والذي ترافق مع نقص التخصيصات للبنى التحتية وعدم قدرة المسؤولين المعنيين، وربما عدم اكتراثهم في بعض الاحيان لقلة خبرتهم ومهنيتهم المنقوصة، في التعاطي مع مشاكل ادامة الشارع بصورة مهنية واحترافية. وقد اوصلت تلك العوامل الضاغطة على بنية الشارع ومجاوراته الى خراب تام نتيجة التغييرات الجذرية الحاصلة في وظائفه وعلى طبيعة رواده. كما عجلت قرارات منع حركة السيارات في اجزاء حيوية منه، بدوافع سوغت بانها امنية، من تسريع ضمور بنية الشارع وانهيارها.

لقد افرزت تلك الحالة المأساوية التى آلت اليها منطقة الرشيد معظم البغداديين وكثر من العراقيين واصدقائهم، واثارت لديهم الاسى والحزن لحالة الخراب المزري الذي اصاب شارعهم الجليل. هم الذين اعتقدوا دوماً بان "قيام" الشارع ونهوضه، هو نهوض مدينتهم وبلدهم؛ ما يجعل من الجميع: مسؤولين وغير مسؤولين امام واجب التصدى لتلك الوضعية، وانتشال الشارع من محنته التى وجد فيها. وهذا هو الذي حدى بامانة بغداد، وهي الجهة المسؤولة عن التخطيط الحضري للمدينة، الى تدارك هذه الحالة، معلنة في عام ٢٠٠٧ خطة باطار شامل لتخطيط منطقة الرشيد، مكلفة مكتبا استشاريا عراقيا، لاعداد ذلك التخطيط، الذي يستهدف تطوير واعادة تخطيط مركز المدينة التاريخي مع ايلاء اهتمام مماثل لحماية الموروث العمراني في المنطقة والحفاظ عليه. وهذا يعني تأمين معالجات متوازنة بين اجراءات التطوير والحفاظ. ويعرف المخططون جيدا، بان صياغة سياسات تخطيطية مستقبلية لاي مدينة كبيرة ، بمواصفات مدينة بغداد، يتعين ان تكون ذات بعدين؛ احدهما تشمل قرارات تخطيطية تسعى وراء انشاء وتطوير أحياء جديدة محددة في المدينة، والاخرى خاصة باقسام منتقاة في المدينة يراعى بها ان يكون الجهد التخطيطي والتطوير ضمن "خيمة" مفاهيم وآليات الحفاظ ومبادئه. بكلمات آخرى، ثمة جدلية ديناميكية تخطيطية تنطوي على "الثابت والمتحول" (اذا استعرنا مفردات القاموس "الادونيسي"!) يتعين حضورها بقوة ووضوح في صياغة القرارات التخطيطية الحضرية للمدينة. لكن فهم هذا "الثابت" وادراكه تخطيطيا ينبغي ان يكون فهماً خلاقاً ومبدعاً، وبالتأكيد غير "دوغماتي"!؛ بحيث يقبل التجديد والتطوير ضمن قواعد ومفردات صيغة النسيج التخطيطي وخصوصيته التى انبنت بتراكم عقود من السنين، والتى يتعين "اكتشافهما" ورصدهما من قبل المخطط الفطن، توطئة لتوظيفهما في قراءة تخطيطية حضرية مجتهدة. ومنطقة الرشيد وتخومها، هي المنطقة المحافظ عليها تخطيطيا، لكنها المنطقة القابلة للتطوير ضمن مفاهيم الحفاظ ايضا.

يتطلع المكتب الاستشاري المكلف ان تكون اجراءاته التخطيطية وفقا لمفاهيم تلك الاطروحة التى ذكرناها توا. فيوضح فلسفته التخطيطية للمشروع بكونها تتقصى "ايجاد توازن في صياغة التصميم الهيكلي لمستقبل المنطقة لتشمل سياسات محددة ومبتكرة للتطوير من جهة، ومبادئ الحفاظ على الموروث العمراني من جهة اخرى. الامر الذي يحتم تأمين مبادئ معالجة متوازنة بين الحفاظ والتطوير، وبالتالي تأمين المحافظة على ما تبقى من النسيج التاريخي وهوية المنطقة، بالاضافة الى تأمين احتياجات المستقبل وتعزيز موقفها كمركز رئيسي للعاصمة". ومن اجل تحقيق مسعاه التخطيطي، (الذي يدعوه بالرؤية التخطيطية)، بصورة مهنية وعملية، فانه يقترح مؤشرات محددة تحرص على تحقيق تلك الرؤى، منها : اقتراح تصميم هيكلي ومخططات استعمال الارض؛ والعمل على صياغة الموازنة بين عملية الحفاظ على التراث وعملية التطوير الحديث؛ وتخفيف الضغط على النسيج التاريخي وتقديم فرص التطوير في مناطق آخرى، واخيرا خلق فرص استثمارية وبؤر ذات استعمالات مختلفة لتنشيط اقتصاد المنطقة. هذا ويتوق الاستشاري ان يكون مشروعه غير مقتصر على اعداد دراسات تخطيطية فحسب، وانما يتخطاها الى مراحل اعداد التصميم والمخططات التنفيذية التفصيلية، ومن ثم الى مرحلة التنفيذ والاشراف عليها ، ليكون العمل الاستشاري شاملاً ومتكاملاً.

في خطته لإعداد التصميم الهيكلي يسعى الاستشاري وراء تقسيم منطقة الدراسة التى كلف بها الى ثلاث مكونات اساسية ذات خصائص باستعمال ارض مميزة شخصت في : منطقة الفعاليات الثقافية، ومنطقة الاسواق، واخيرا منطقة الفعاليات الترفيهية. وهذه المناطق الثلاث تمتد، في رأيه، على امتداد ثلاثة محاور هي محور شارع الرشيد، ومحور الازقة، ومحور ضفة النهر. يقدم الاستشاري رؤيته التصميمية التى تتعاطى مع اهداف اساسية يراها ضرورية في تطوير واعادة تخطيط الشارع، منها: تطوير وتحديث الواجهات المعمارية للمباني على جانبي شارع الرشيد؛ وابراز المباني التاريخية والتراثية وتجديدها وصيانتها؛ وتطوير المحاور الرئيسية مع شارع الرشيد؛ ووضع الضوابط التنظيمية الخاصة بالبناء والترميم، ومعالجة جبهة النهر وتطويرها بموازاة تطوير الشارع؛ وتأثيث المنطقة بمفردات حديثة وتطعيمها بالاعمال الفنية، وتحديد استعمالات الارض والفرص الاستثمارية، واخيرا تحديث الشارع والازقة وتنظيم العناصر المعمارية فيهما.

لا يتوقف الاستشاري عند مرحلة الانتهاء من تقديم مختلف التفاصيل الضرورية الخاصة بمشروعه التخطيطي، وانما يثير، ايضا، قضية نراها ذات اهمية قصوى في تسريع تنفيذ المشروع الطموح والمهم والاساسي لمدينة بغداد؛ ونعني بذلك مقترح الرؤية الخاصة بتنفيذ المشروع على ارض الواقع. فهو يعي ان اغلب المشاريع الخاصة بالتطوير العمراني اخفقت في تطوير المناطق بصورة كاملة لعدم توفر السيولة المالية الكافية بالنظر لوجوب استملاك ارض قبل البدء بالمشاريع، وبالتالي تعثر هذه المشاريع واحيانا توقفها باستنفاذ معظم التخصيصات المرصودة لتلك المشاريع. ويعتقد الاستشاري انه بالامكان تلافي تلك الاخطاء (والاخطار..ايضا!)، وضمان عدم الوقوع فيها في حالة ضمان السيولة النقدية الكافية، وضرورة الالتزام بالبرنامج الزمني للتنفيذ ومراحله، مع التأكيد دوما على أهلية المقاولين المنفذين ومهنيتهم العالية في مجال اختصاصهم.

لسنا في حاجة هنا التذكير، مرة آخرى، باهمية "مشروع شارع الرشيد" لمدينة بغداد وللعراق وحتى للمنطقة ككل. ذلك لان نهوض الشارع ومنطقته مرة اخرى واعادة تأهيليه وتخطيطيه والحفاظ على موروثه البنائي والمعماري، (كاحد تجليات الموروث الثقافي البغدادي خاصة، والعراقي بعامة)، سيعطى رسالة واضحة ومحددة عن وجه العراق الجديد وتطلعاته المستقبلية، وسيكون درساً تخطيطيا ومعماريا غاية في الاهمية؛ وحدثا مهنيا وثقافيا جديرا بالدراسة والتأمل من قبل الجميع: مهنيين وغير مهنيين. فالشارع المعني، ليس شارعا عاديا، كما ان منطقته ليسن عادية هي الاخرى. من هنا تنبع خصوصية الاهمية القصوى التى يتمتع بها هذا المشروع الحيوي، والذي يعول الجميع على انجاحه.

لقد كتب في الاونة الاخيرة كثر من المثقفين العراقيين حول حالة الشارع الآنية المحزنة، والمزرية في طبيعة الحال. وكانت معظم كتاباتهم حافلة بنداءات لضرورة الاهتمام بالشارع واعادة رونقه السابق. وقد يكون بعض الذين كتبوا عن الشارع لايعلمون بوجود مثل هذا المشروع الهام، والحيوي، الذي تبنته امانة بغداد مؤخرا، وان علموا به، فان كثراً منهم، ليس على اطلاع كبير على محتواه وتفاصيله. وهذا ينسحب ايضا على كثير من منظمات المجتمع المدني العاملة في البلاد. ثمة نزعة لعزوف تعزى الى عدم مبالاة "المستفيدين" الحقيقيين في التعاطي مع مشاريع التخطيط الحضري للمدن العراقية وعدم رغبتهم في المشاركة بالنقاشات الجارية حول تلك المشاريع او المتابعة الجادة لها. ولا يشذ، مع الاسف، عن تلك النزعة "مشروع تطوير شارع الرشيد"، رغم اهميته الحضرية وخصوصيته المتميزة. وبغية تقليل سلبيات تلك الحالة غير الصحية، وانطلاقا من طبيعة مشروع الرشيد وخصوصيته المتميزة، فان الامر يستدعي ان لا تستمر العلاقة حصراً بين الطرفين المتعاقدين، وهما: امانة بغداد والمكتب الاستشاري المكلف باعداد التخطيط والتصميم؛ وانما تتجاوزها لتشمل اشراك العديد من منظمات المجتمع المدني، مع دعوة المثقفين، والمهنيين بشكل خاص، للمشاركة والانهماك في قضايا هذا المشروع الضروري والطموح للمدينة وللبلاد. وان يصار الى تأسيس جمعيات ذات نفع عام مهمتها متابعة المراحل التخطيطية والتنفيذية والضغط من اجل انجاز هذا العمل بمستوى مهني مرموق وبمواصفات عالمية، تليق ببغداد ومكانتها المحلية والاقليمية والعالمية. وليس غريبا بالمرة، عندما ينبري البغداديون واصدقائهم لتبني وتأسيس "جمعية اصدقاء شارع الرشيد" ؛ تستقطب متطوعين ذوي اختصاصات مختلفة واهتمامات متنوعة كالمعماريين والمهندسين والفنانين والاطباء ورجال اعمال ونواب برلمان واعلاميين وناشطيين سياسيين، وعاملين في منظمات المجتمع المدني واساتذة الجامعات وحتى مواطنين عاديين من محبي التراث البغدادي ومهتمين في الحفاظ عليه وتطويره، تكون مهمتها خلق راي عام قادر على لفت الانظار الى اهمية "مشروع تطوير شارع الرشيد" وان تتابع بدأب جميع مراحل التخطيط والتصميم وتشارك في النقاشات التى تنظم عادة بعد عرض نتائج كل مرحلة تصميمية من مراحل المشروع. وبديهي ان وجود مثل تلك الجمعية (الجمعيات)، يتعين ان لاتفهم كونها بديلا عن واجبات واستحقاقات رب العمل او المكتب الاستشاري، او تدخلا في شؤونهما. فوجود مثل هذه الجمعيات، اعتبر دوما امرا ضروريا وملحا ومفيدا، كما ان حضورها في المشهد يتساوق مع صيغ لممارسات وتجارب عالمية تدعو الى مشاركة فعالة من قبل جمهور المستفيدين وممثليهم في قضايا التخطيط الخاصة بمدنهم، وامكنة سكناهم.

ليس كثيرا ان تمتلك بغداد مشروعا طموحا يعيد لشارعها الجليل ومنطقته الغنية بشواهد الموروث العمراني، القهما السابق، ويتطلع لان تكون منطقة الدراسة أهم وأجمل منطقة حضرية في العاصمة العراقية يتعايش فيها الموروث الثر مع متطلبات الحداثة.

ثمة أمل حقيقي في "قيام" الشارع، ونهوضه من جديد، يراود الآن جميع المسؤولين وغير المسؤولين. دعونا، اذن، نغتنم هذه الفرصة التاريخية، ونعمل بجد من اجل تحقيقها وانجازها بمستوى مهني عال.

منطقة باب الشرقي: الواقع ومقترح التصميم المستقبلي.

من البرج العاجي

لولو: الأنثى المُميتة

فوزي كريم

"الأنثى المميتة" مصطلح "لنموذج أول" ثابت في تاريخ الجنس البشري، يشير إلى المرأة المغرية بسحر جاذبيتها، والتي توقع الرجل في شراكها التي لا تُقاوم، وتقوده بدافع رغبة غامضة إلى حتفه. إنه "نموذج أول" كامن في ما يسميه يونج بـ "الذاكرة الجماعية" للجنس البشري، كثير الظهور في حقلي الأدب والفن. قدرة هذه "الأنثى المميتة" على سلب اللب، وتعطيل مقاومة الضحية من الذكور، قدرة فائقة للطبيعة البشرية المعهودة. وليس غريباً أن تُرى امرأة من هذا الطراز بيننا، حتى اليوم، وكأنها تملك قُدرات تُقرن بالساحرات، مصاصات الدماء، أو الشيَّاطين. نموذج هذه "الأنثى المميتة" شائع في التاريخ، والفولكلور، والأساطير، في كل ثقافة، وفي كل عصر. من النماذج المبكرة "سوكومبوس"، وهي الشيطانة التي يُروى بأنها كانت تجامع الرجال في نومهم. وكذلك "ليليث"، و"عشتار"، و"دليلة"، و"سالومي"، و"إفروديت"، و"سايرن"، و"ميديا"، و"هيلين"، و التاريخية "كليوباترا" ملكة مصر.

ماركيز دي ساد كان كثير الإعجاب بنموذج "الأنثى المميتة". لا يرى فيها تمثيلاً للشر، بل هي الخير كله. ولقد انتصر لها في روايته "جوليت". وكذلك وجدت لها مكاناً في لوحات الرسامين أودورد مونك، غوستاف كلمْت، وما بعد الروفائيليين. ولم تكن بعيدة عن حظْوة الموسيقيين بالتأكيد. إنها في فن الأوبرا ذات شعبية، ولكنها منذ القرن التاسع عشر أخذت صيغاً أكثر تعقيداً من النموذج الإغوائي الخالص. نجدها في "كارمن" للفرنسي بيزيه، وفي "سالومي" للألماني شتراوس، وفي "تايس" للفرنسي ما سينيه (عن رواية شهيرة لأناتول فرانس)، ولعل خير شاهد على هذا النموذج هو "لولو"، بطلة الأوبرا التي بالاسم ذاته للموسيقي النمساوي ألبين بيرغ ١٨٨٥-١٩٣٥ (أخذها عن مسرحية للكاتب فرانك ويديكْند)، وهي بين يدي، وقد صدرت DVD عن دَار OpusArte، نقلاً عن العرض الذي قدمته "رويال أوبرا هاوس" العام الماضي. شخصية "لولو" تختلف عن امرأة الإغواء التقليدية بنقاط عديدة. فهي هنا تفتقد الصلابة، وسهلة المكسر. عثر عليها الدكتور شون تبيع أزهاراً، وهي في الثانية عشرة. تبنى تربيتها، وجعلها عشيقة دائمة له، بالرغم من زواجها من عديدين بتشجيع منه. زوّجها من أستاذ الطب الذي سقط صريعاً حين فوجئ بها وهي في أحضان رسام جاء به ليضع لها بورتريتاً فنياً. ثم تزوّجها الرسام هذا، الذي سرعان ما قتل نفسه، حين اكتشف علاقتها الخفية بالدكتور شون. ثم أسرت ماركيزة واتخذتها عشيقة، وأميراً لم تستجب له، ومن بعد استهوت ابن شون، الذي صاحبها أسيراً، بعد قتلها لشون، وسجنها، وهربها من السجن، ثم موتها على يد جاك السفاح، الذي التقاها بشخص شون ذاته. عشيقها الدائم، وجلاّدها أيضاً.

امرأة ذات سحر يُقرّبها من نموذج "الأنثى المميتة"، وكيان ضحيّة يُبعدها عنه بالمقدار ذاته. فهي ليست مثل "كارمن" ذات جاذبية مُنتصرة وروح حرة. فبالرغم من كثرة عشاقها، إلا أنها مأخوذة بحب واحد. وطبيعة صوتها الدرامي يتلوّن وفق الشخصية التي تُحاورها. إنها ضحية ذات جاذبية لا تخلو من إرادة لكل من يلتقي بها من الرجال. وهذه الخصائص انعكست على الموسيقى لتعزز من هدف الأوبرا في تعرية الفساد الاجتماعي وانحرافه، وكذلك هدفها في تقديم أسلوب موسيقي "تعبيري" جديد، كان قد بدأ مع الموسيقي شوينبيرغ، وتلميذيه بيرغ هذا، و فيبيرن. وهم عماد "مدرسة فينا الثانية"، التي هجرت السلم الموسيقي التقليدي، من أجل المزيد من حرية التعبير عن العالم الداخلي المتعارض والملتبس للإنسان. ومن أجل تقريب الأسلوب التعبيري الموسيقي هذا يمكن لأحدنا أن يستعرض بضعة لوحات "تعبيرية" من الفن التشكيلي الألماني في هذه لفترة، ليرى عياناً الميل إلى التشويه، وقسوة الخطوط والألوان، وتعارضها.

ألبين بيرغ قليل الإنتاج، ولكن بالغ الأهمية والتأثير. وضع أوبرا "لولو" ولم يُكملها بسبب موته المبكر. قبلها وضع أوبرا "فوتزيك" صارخة التعبيرية. ومعهما ترك عدداً من الأعمال الأوركسترالية، وأعمال موسيقى الغرفة، والأغاني. وهي في جملتها قليلة، ولكن وافية لإعطاء صورة لفنان معتدل، عُني بالتقنية التعبيرية، ولكن لم يغفل مسعاها للتعبير عن العواطف الأسيرة، المتعارضة داخل الإنسان.

عاصفة أدبية يثيرها الناقد "لي سيغل" بإعلانه موت الرواية الأمريكية

ترجمة: نجاح الجبيلي

نقاد الكتب في الولايات المتحدة يدفعهم الحافز للاصطفاف مع هذا الجانب أو ذاك هذا الصيف بشأن قضية : هل ماتت الرواية الأمريكية أخيراً أم لا؟ وبدأ الخلاف حين كتب الناقد المثير للجدل "لي سيغل" في "نيويورك أوبزرفر" معلناً أن الجمهور الأمريكي لم يعد يتحدث عن الروايات وأن هذا الشكل الإبداعي، الذي كان يوماً في منتهى التوهج، فقد شرارته للأبد.

وزعم سيغل أن هناك "ما يقارب مليون سبب كون الرواية أصبحت الآن صنفاً محفوظاً في المتحف وأن ممارسيها هم أوصياء عاجزين أو منظرين أكثر منهم كتاباً. ومهما تكن النتيجة فإن قصاصي عصرنا العظماء هم من مؤلفي الكتب غير الروائية". جاء ذلك عقب منح جائزة صموئيل جونسون للكتاب غير الروائي في لندن للصحفية الأمريكية "باربارا ديميك" عن كتابها " لا شيء يحسد عليه: الحياة الحقيقية في كوريا الشمالية" وقد أثير الجدل الذي بدأه "سيغل" في صفحات عروض الكتب والمواقع الأدبية في الانترنت. ويتساءل النقاد من كلا الطرفين هل ستتنافس الرواية الأمريكية مرة أخرى مع الكتب غير الروائية بسبب صلة معاصرة.

وكان الذي أثار هجوم "سيغل" على الروائيين الأمريكيين هو نشر مجلة "نيويوركر" قائمتها السنوية المسماة " ٢٠ تحت ٤٠" للكتاب الجدد لكنه كشف عن مرارة في وسط عالم الكتب.

ووقف سيغل ضد "القائمة القبيحة التي تروج لمجلة "نيويوركر" " للكتاب القادمين المفضلين واتهم هذه الحزمة الأدبية كلها كونها مرجعاً ذاتياً ضاراً جعله مروجو الكتب طوع أمرهم.

وكان في وسط النزاع الناقد البريطاني جيمس وود الذي يعد الصوت الرئيس في الصحافة الأدبية في أمريكا. وبالنسبة لـ"سيغل" فإن أهمية وشهرة وود- الذي يكتب لصحيفة "نيويورك تايمز" – يوجز للأزمة الحالية في الرواية.

ويزعم سيغل " فليبارك الرب زميلي السابق في مجلة "نيو ريبوبليك" ليظل يراجع الروايات للسنين المئة المقبلة لكن ظهور السيد وود يؤشر تدهور الرواية التي هي شغفه الكبير" ويستمر بالجدل بأن موت نوع فني يكون واضحا حين يصبح تحليله في غاية التفكك.

لكن رجال الأدب ردوا على الهجوم وقالوا أن سيغل يستعمل أطروحته المشاكسة ليوجه النقد دائماً إلى ناشر أو ناقد منافسين. ونشر في صحيفة "لوس أنجلوس تايمز" جواب سريع أشار أولا إلى أن الصحف الأخرى وجهت النقد إلى قائمة اختيار النيويوركر للكتاب وناقشت نظرية سيغل نقطة فنقطة. وكان هناك رد آخر على سيغل طرح في النسخة الالكترونية من "هفتغتمون بوست" أوحى بأننا يجب أن لا نؤبن الرواية الأمريكية بل المشهد الأدبي الأمريكي بأكمله.

وتجادل بأن نقاداً مثل سيغل " قد رفضوا حتى أن يفتحوا الستائر في أبراجهم العاجية كي يروا العالم الأدبي المتبرعم الذي يزدهر حولهم. إنهم يصرفون النظر عن مدونات الكتب والصنف الروائي وكل شيء لم تجر تغطيته في مجلة النيويوركر".

وكان الإعلان عن موت الرواية قد أصبح تقليداً أدبياً كما الرواية نفسها. فالكتاب الأمريكان الفخورون بثوابتهم من مارك توين وهيرمان ملفيل إلى همنغواي وشتاينبك وجوزيف هيللر وسول بيلو – كانوا متعطشين بالتناوب إلى قتل هذا الصنف وغاضبين بسبب انتظارهم الطويل للكاتب العظيم القادم.

وبالعودة إلى عام ٢٠٠٣ وجه الناقد البارز هارولد بلوم في عموده شجبه لمؤسسة جائزة الكتاب الوطني لمنحها "ستيفن كنغ" الجائزة "بسبب إسهامه الفعال في الأدب الأمريكي". وهاجم في المقالة ذاتها ج.ك رولنغ موحياً أن الأدب الجيد لن يصبح أبداً شعبياً مثل قصص كنغ المرعبة أو كتب "هاري بوتر" لرولنغ. كما أن آندرو مار الذي يكتب في الصحيفة ذاتها أعلن في عام ٢٠٠١ أيضاً عن موت الرواية البريطانية.

وبالنسبة للمؤلف "جوف داير" فإن المشكلة الآن تكمن في التصنيف المتصدع للرواية الأدبية. يقول: " لا أملك الصبر كي أقرأ الروايات هذه الأيام إلا أذا هجر المؤلف أغلب المادة التي تعد ضرورية في كتابة الرواية أو كان أستاذا كاملاً ومطلقاً مثل ألان هولنغهرست مثلاً".

لكن الناشر جامي باينغ مدير دار نشر "كانونغيت" قال أن تعليل سيغل كان "غير معقول" مضيفاً: " هناك فكرة مهمة قوية تثير كتاب الرواية تماماً كما تثير الكتاب غير الروائي. أنا لا أؤمن بأي عبارة مثل "الرواية ماتت".

ربما كان سيغل يأمل بتحريك الروائيين. ومرة صرح الناقد فرانك كرمود بأن الرواية هي شكل يحيي نفسه بصورة دورية. وكتب كرمود: " القدر الخاص بالرواية التي تعد نوعاً أدبياً هو أنها دائماً تحتضر؛ والسبب الرئيس في هذا هو أن أغلب الروائيين والقراء الأذكياء هم دائماً مدركين بالفجوة، المتكونة من اللامعقول، التي تنشأ بين العالم كما يبدو كائناً والعالم المقترح في الروايات". ونتيجة لذلك فإن الكتاب من جين أوستن ولورنس شتيرن إلى ج.د سالنجر يخططون كتابة رواية مضادة ثم ينتهون كما قال كرمود مشيرا إلى "الطريق إلى رواية جديدة وعرف جديد".

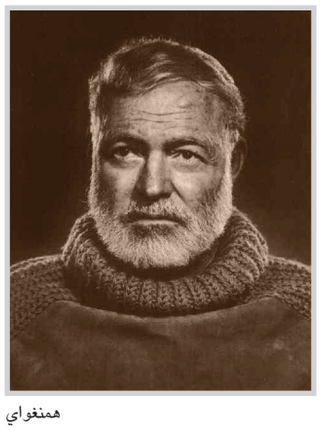

همنغواي

سالنجر